

ملف المستقبل

سرى جدا !!

د. نبيل فاروق

روايات
مصرية الجيب

الأعماق

138

Looloo

www.helmelarab.net

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة

تعليم والنشر والتوزيع

ت. ٢٤٨٦١٩٧ - ٢٤٨٦٢٥٤ - ٢٤٨٦٢٥٥

فلسطين ٢٠٠٢

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من
حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية
المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرية
مطلقة ؛ من أجل حماية التقدم العلمى فى (مصر) ،
ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس
الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل
رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على
رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة
بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ،
ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ،
وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل .

١- الصدمة ..

تألفت مياه البحر الأبيض المتوسط ، على نحو بديع
خلاب ، مع انعكاس الأضواء الأخيرة لقرص الشمس ،
الذى اصطبغ بمزيج مبهر ، من اللونين الأحمر
والأصفر ، وهو يغوص ويذوب فى الأفق ، معنا نهاية
يوم آخر ، من الأيام الأخيرة للعقد الأول ، من القرن
الحادى والعشرين . ومن بعيد ، راحت الغيوم الداكنة
تسبح فى السماء ، وقد اصطبغت أطرافها بذلك المزيج
الضوئى نفسه ، حتى لقد بدا المشهد كله أشبه
بلوحة مبهرة ، من صنع الخالق (عز وجل) .

لوحة لم يتمتع بمراها طاقم الغواصة النووية المصرية
(ب . ن - ١٠٣) ، التى راحت تشق طريقها ، على
عمق ثلاثمائة متر ، فى دورة تفقدية تقليدية ، وقبطاتها
يراجع خرائطه الملاحية ، ويناقش مساره مع مهندسها
الأول ، على نحو هادئ يوحى بأن كل شىء يسير
على ما يرام ..

ومع غروب الشمس ، وانتشار ظلمة الليل ،
واستعداد القمر للبروز ، استعنت (ب . ن - ١٠٣)
للعودة إلى قاعدتها ، فشد قبطانها قامته ، فى وقفة
عسكرية حازمة ، وهو يقول عبر جهاز الاتصال
الداخلى فى حزم :

- استعدوا للدوران بدرجة ثلاثين .

استعد الطاقم كله لرحلة العودة التقليدية ، بعد أن
انطلقت الغواصة لخمس ساعات كاملة ، على حدود
المياه الإقليمية المصرية^(*) ، و ..

« جسم غريب فى الجوار .. »

أطلق المراقب العبارة فى توتر شديد ، عبر جهاز
الاتصال ، وعلى نحو جعل القبطان يعقد حاجبيه فى
قلق ، وهو يتساءل فى حذر :

(*) المياه الإقليمية : يطلق عليها القانون الدولى العام اسم (البحر
الإقليمى) ، أى الجزء من البحر ، المجاور لإقليم الدولة ، وتمتد إليه
سيادتها ، ولا يختلف فى وضعه عن أى جزء آخر من إقليم الدولة ، ولكن
يسمح فيه بمرور السفن ، التى لا تضر بسلامة أو أمن أنظمة الدولة .

- جسم غريب ؟! وما الذى تقصده بعبارة (جسم
غريب) هذه ؟! حدد هويته .

أتاه صوت المراقب ، وهو يجيب ، فى توتر أكثر :
- هذا غير ممكن يا سيدي .

هتف القبطان فى حدة :

- أى قول سخيف هذا ؟! كل المركبات البحرية
يمكن تحديد هويتها ، على نحو أو آخر .. أهى
غواصة معادية ، أم طراد بحرى ، أم

قاطعه المراقب ، فى سابقة غير تقليدية ، ولا تتفق مع
أبنى للقواعد والنظم العسكرية ، وهو يقول بلهجة عجيبة ،
تحولت من التوتر إلى العصبية ، مع لمحة من الذعر :

- كلاً يا سيدي .. إنه جسم غير معروف ، ولم نر
له مثيلاً قط ، فهو يتحرك تحت الماء ، بسرعة
ثمانين عقدة بحرية^(*) ، ويتجه نحونا مباشرة .

(*) العقدة البحرية : وحدة سرعة بحرية ، تساوى (ميل بحرى/ساعة) ،
والميل البحرى يساوى وحدة قياس بحرية مقدارها (١٨٥٢) متراً تقريباً .

اتسعت عينا المهندس الأول عن آخرهما ، وهو يغغم :

- ثمانون عقدة بحرية ؟!! مستحيل ! لا شيء يمكنه السير بهذه السرعة تحت الماء ؟! حتى أحدث الغواصات النووية وأقواها !!

أما القبطان ، فقد انعقد حاجباه بشدة ، وهو يميل نحو جهاز الاتصال ، ويسأل المراقب في قلق :

- أنت واثق من أنه لا يوجد أى خطأ فى جهاز (السونار) (*) .

أجابه الرجل ، وقد بلغت عصبية واندفاعاته حدًا مخيفًا :

- كلاً .. لا يوجد أدنى خطأ ، وذلك الجسم ما زال يتجه نحونا مباشرة ، دون أن يخفف من سرعته .

استوعب القبطان الأمر هذه المرة ، وهتف فى سرعة :

(*) السونار : جهاز يشبه الرادار ، ولكنه يستخدم الموجات الصوتية بدلاً من الموجات اللاسلكية ، حيث يرسل الصوت على فترات منتظمة ، ثم يقيس الزمن الذى يستغرقه انعكاسه ، ومن هنا يتم تحديد المسافة ، وسرعة أى جسم متحرك ، واتجاهه .

- أديروا الدفة أربع درجات إلى اليسار .. أسرعوا .

وقبل حتى أن يكتمل نداءه ، كان البحارة يسرعون لتنفيذ الأمر ، وبدأت عملية تعديل الاتجاه ، ولكن المراقب هتف فى ارتياح بلغ مداه هذه المرة :

- الجسم يحافظ على سرعته ، ويقترب أكثر ... وأكثر ... وأكثر .. يا إلهى ! يا إلهى !

صاح المهندس الأول ، وقد انتقل إليه انفعال المراقب :

- أسرعوا بالله عليكم .. أسرعوا .

ولكن يبدو أن ذلك الجسم المجهول كان يتحرك بسرعة مخيفة بالفعل .. فمع آخر حروف صيحة المهندس الأول ، حدث الاصطدام ..

ودوى انفجار فى قاع البحر ..

انفجار قوى ، أرسل موجات عنيفة ، عبر مياه البحر ، لثلاثين كيلومتراً دفعة واحدة ..

ثم انتهى كل شيء دفعة واحدة ..

وراحت (ب . ن - ١٠٣) تغوص ..

وتغوص ..

وتغوص ..

حتى الأعماق ..

★ ★ ★

« لست أفهم هذا أبدًا .. »

نطق رئيس الجمهورية العبارة ، في حيرة حقيقية ، وهو يرفع عينيه عن الورقة التي يمسك بها ، إلى مستشاره الأمني الخاص ، السيد (أمجد صبحي) ، الذي شد قامته ، وهو يسأل في هدوء :

- وما الذي لا تفهمه بالضبط يا سيادة الرئيس ؟!

ألقى الرئيس الورقة على سطح مكتبه ، قائلاً :

- استقالتك هذه .

صمت (أمجد) لحظة ، قبل أن يجيب في هدوء حازم :

- أعتقد أنها جاءت في وقت مناسب تمامًا يا سيادة الرئيس .

مال الرئيس نحوه ، متسائلاً :

- ولماذا تعتقد هذا ؟!

صمت (أمجد) فترة أطول هذه المرة ، قبل أن يجيب في حزم أكثر :

- الأحداث تؤكد أن الحياة من حولي تتغير ، ولم تعد تناسب ما اعتدته من أسلوب ، ومن الضروري أن ينزاح من هو مثلي جانبًا ، ليفسح المجال أمام الجيل الجديد ، بأساليبه ، وتكنولوجياه ، ومخاطره ، التي يبدو أنها تتطور مع تطور ما حولها أيضًا .

تطلع إليه الرئيس بضع لحظات ، قبل أن يتراجع في مقعده ، ويلوح بيده ، قائلاً في حزم مماثل :

- بالنسبة لي ، ولكل الخبراء هنا ، فأنت تبدو مثاليًا كمستشار أمني ، وحتى في تلك العمليات الأخيرة ، التي شاركت فيها فريق المخابرات العلمية ، أثبتت الأحداث أنك ما زلت مقاتلاً صنيديًا ، لا يشق لك غبار .

تردد (أمجد) لحظة ، قبل أن يقول :

- ولكن هذه العمليات نفسها ، أثبتت أن الجيل الجديد
قادر وحده على إدارة الأمور برمتها ، دون الحاجة
لتدخلنا نحن .

مرة أخرى ، تطلع إليه الرئيس ، قبل أن يسأله :

- ماذا يدور في أعماقك بالضبط يا (أمجد) ؟!

لوح (أمجد) بيده ، قائلاً :

- بل ما الذى يمكن أن أقدمه بالضبط يا سيادة
الرئيس ؟! هذا هتو السؤال الحقيقى .. فى العملية
الأخيرة ، لم يكن لى دور يذكر .

ارتفع حاجبا الرئيس ، وهو يهتف :

- لم يكن لك ماذا ؟! لقد جازفت بحياتك ، وهبطت
بمظلتك فى منطقة أحراش رهيبة ، يخشى الآلاف مجرد
الاقترب منها ، وواجهت هناك أهوالاً ، ثم تدخلت فى
اللحظة المناسبة^(*) .. ألا يبدو لك كل هذا دوراً يذكر ؟!

(*) راجع قصة (الشر) .. المغامرة رقم ١٣٧

هزاً (أمجد) كتفيه ، قائلاً :

- عندما وصلت إلى (نور) وفريقه ، كان هو قد
حلّ اللغز بالفعل ، وربما لو ...

قاطع الرئيس فى استنكار :

- ربما ؟!

ثم نهض من خلف مكتبه ، ودار حوله ، ليضع يده
على كتف (أمجد) فى مودة ، وهو يسأله :

- دعك من هذه المحاولة غير المقتعة ، وأخبرنى ..
ما السبب الحقيقى لطلبك الاستقالة ؟!

صمت (أمجد) بضع لحظات ، قبل أن يجيب ،
قائلاً :

- الواقع يا سيدي الرئيس أننى لم أعد أحتمل
الاستمرار .

سأله الرئيس فى تعاطف :

- ولماذا ؟!

انطلقت تنهيدة ملتهبة ، من أعماق أعماق صدر
(أمجد) ، وهو يجيب :

- الإرهاق .. كل ذرة فى كيانى تشعر بإرهاق
وإجهاد لا حدود لهما .

رَبَّت الرئيس على كتفه ، قائلاً :

- هذا أمر طبيعى يا (أمجد) ، فرجل مثلك ، قضى
ما يقرب من نصف قرن فى نشاط مستمر ، وواجه
كل هذه المخاطر ، وكل هؤلاء الأعداء لابد وأن
يشعر يوماً بالإجهاد والإرهاق ، حتى ولو كان أقوى
رجل فى العالم .. ناهيك عن الضغوط النفسية العنيفة ،
التي تعرضت لها ، مع مصرع والدك فى شبابك ،
وفقدانك لولدك ، وحببتك ، وأخلص وأقرب أصدقائك ..
صدقنى يا (أمجد) ، أنا أشعر كثيراً بما تعانيه ،
ولكن الحل لا يكمن فى الاستقالة والاعتزال .

استدار (أمجد) يتطلع إليه ، فتابع الرئيس بابتسامة
هادئة :

- بل فى إجازة .. إجازة تستعيد خلالها نشاطك ،
وتريح ذهنك ، وتسترجع أحداث حياتك ، وتتخذ قرارك
فى هدوء وروية ، ودون ضغوط نفسية أو جسمانية .

سأله (أمجد) فى حزم :

- وماذا لو عدت من الإجازة أكثر إصراراً على
الاستقالة ؟!

أشار الرئيس بيده ، قائلاً :

- عندئذ سأوقعها خلال ثانية واحدة .

مع آخر حروف كلماته ، اتبع أزيز تلك الآلة الخاصة
على مكتب الرئيس ، والتي تنقل إليه تقارير الأخبار
العاجلة ، الواردة من كل الأجهزة الأمنية فى (مصر) ،
فتحرك (أمجد) بحركة آلية ، ليلتقط التقرير الوارد ،
ولكن الرئيس أمسك معصمه ، قائلاً بابتسامة هادئة :

- مهلاً .. أنت فى إجازة الآن .

ثم استدار يلتقط التقرير بنفسه ، مستطرداً :

- هيا .. اذهب وابحث عن زى خفيف ، يناسب
الاسترخاء على شاطئ البحر ، فى فيلتك فى الـ ...

بتر الرئيس عبارته بغّة ، واتعقد حاجباه فى شدة ،
وهو يقرأ ذلك التقرير ، مما جعل (أمجد) يتجه إليه ،
قائلاً فى توتر :

- ماذا هناك ؟!

رفع الرئيس إليه عينيه ، وهو يقول بوجه
وصوت شاحبين :

- كارثة يا (أمجد) .. كارثة .

وكان هذا يعنى أن فكرة الإجازة قد تبخّرت ..
تماماً ..

★ ★ ★

التقط المقدم (نور الدين محمود) ، نفساً عميقاً ،
وهو يهبط داخل تلك الأسطوانة الشفافة ، المضاءة
بضوء بنفسجى هادئ ، وارتسم الحزم على كل ذرة

من ملامحه ، وهو يشدّ قامته ، فى وقفة عسكرية
ثابتة ، قبل أن تبلغ به الأسطوانة ذلك الطابق تحت
الأرضى ، حيث مكتب القائد الأعلى ، الذى استقبله
فى اهتمام بالغ ، قائلاً :

- مرحباً يا (نور) .. أعلم أنك لم تنعم بالراحة الكافية
بعد ، منذ عودتك من عملية (إصبع الشيطان) ، ولكن
يبدو أن القدر يرفض منحك وفريقك أية مهلة للراحة ،
أو النقاط الأنفاس .

سأله (نور) فى اهتمام :

- ماذا حدث هذه المرة يا سيّدى ؟!

زفر القائد الأعلى ، وهزّ رأسه ، مجيباً :
- كارثة يا (نور) .

ردّد (نور) فى دهشة متوترة :

- كارثة ؟!

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

- وبكل المقاييس أيها المقدم .

قالها ، وضغط زراً على مكتبه ، فظهرت على الشاشة صورة للغواصة النووية (ب . ن - ١٠٣) ، وتطلع إليها (نور) في اهتمام ، والقائد الأعلى يقول :

- ما تراه أمامك هو صورة لأحدث غواصة نووية انضمت إلى أسطولنا يا (نور) ، ولقد بدأت في القيام بال جولات التفقدية لحدود مياها الإقليمية ، منذ شهر واحد .. واليوم ، ومنذ أربع ساعات فحسب ، كانت تقوم بإحدى جولاتها هذه ، عندما تعرضت لحادث رهيب .

غمغم (نور) في حذر :

- أي نوع من الحوادث ؟!

هز القائد الأعلى رأسه نفياً ، وهو يقول :

- لا أحد يدرى يا (نور) .. لقد كانت ترسل إشارات على نحو منتظم ، حتى بدأت الغوص إلى عمق ثلاثمائة متر ، لتفقد الأعماق ، ثم لم نتلق منها أية اتصالات بعدها ، ولم تعد إلى القاعدة البحرية ، أو ترسل حتى إشارة استغاثة واحدة .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقتصر عقله ، محاولاً البحث عن تفسير ، في حين تابع القائد الأعلى بنفس التوتر ، الذي بدأ به حديثه :

- عندما مرت ساعة على موعد العودة المنتظر ، ووفقاً للإجراءات الأمنية ، بدأت عملية البحث عن (ب . ن - ١٠٣) ، بكل الوسائل الممكنة ، وأهمها القمر الصناعي الجيولوجي ، الذي يمكنه رصد وجودها تحت قاع البحر .

تساءل (نور) ، في حذر أكثر :

- وهل تم العثور عليها ؟!

التقط القائد الأعلى نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :

- نعم .. القمر الصناعي الجيولوجي عثر عليها ، على عمق ألف ومائتى متر ، تحت سطح البحر ، ومقصورتاها ، الأولى والثانية محطمتان بعنف ، كما لو أنها قد ارتطمت بقاع صخري صلب ، وبسرعة كبيرة للغاية .

قال (نور) فى توتر :

- قاع صخرى ؟! حسب معلوماتى المحدودة ، لا يوجد قاع صخرى ، فى معظم مناطق البحر المتوسط ، وبالأذات تلك التى لها هذا العمق .

تنهّد القائد الأعلى ، وهو يومئ برأسه ، قائلاً :

- هذا صحيح .

ثم لوّح بيده ، مضيفاً :

- وهذا ما يثير قلق وحيرة الجميع ، خاصة وأن القمر الصناعى الجيولوجى لم يرصد أية أجسام صلبة أو صخرية ، فى منطقة نصف قطرها ثلاثة أميال بحرية^(*) ، حول موقع غرق الغوّاصة .

بدا التفكير على وجه (نور) ، وهو يشير بسبّابته ، قائلاً :

(*) الميل البحرى = وحدة قياس بحرية ، مقدارها (١٨٥٢)

متراً تقريباً .

- لو استبعدنا احتمال ارتطامها بالقاع ، فأظن أنه ليس أمامنا سوى بديلين .. إما أن انفجاراً ما قد حدث فى مقصورتىها الأماميتين ، أو ...

صمت لحظة فى تردّد وتفكير ، فأضاف القائد الأعلى فى حزم :

- أو أن غوّاصة أخرى قد ارتطمت بها .

تردّد (نور) لحظة أخرى ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

- هذا احتمال سابق لأوانه ، ثم إنه غير منطقى ، بالنسبة لغوّاصة نووية مثل (ب . ن - ١٠٣) ، فمع أجهزتها المتطورة ، يمكنها رصد أية غوّاصة أخرى ، تحاول الاقتراب منها ، حتى مسافة ستين ميلاً بحرياً ، حتى ولو كانت تسير بسرعة أربع عقد بحرية فى الساعة ، ومن المحتم أنها كانت سترسل إشارة تحذير على الأقل .

أوماً القائد الأعلى برأسه متفهماً ، وقال :

- من الواضح أن معلوماتك عن الغواصات النووية معقولة يا (نور)، ولكن معلوماتك عن الحادث، الذي نحن بصددده هي المحدودة، فقد دفع الخبراء القمر الصناعي الجيولوجي إلى أقصى قدراته الرصدية، خاصة وأن الليل وعمق القاع يعوقان عملية الرصد إلى حد ما، ولكنه، وعلى الرغم من هذا، استطاع أن يمنحنا بعض التفاصيل المدهشة.

وصمت لحظة، ثم ضغط زر العرض، مضيفاً في توتر بالغ:

- والمخيفة أيضاً.

مع قوله، عرضت الشاشة صورة حادة الألوان، بين الأخضر والأحمر والأزرق، ترسم حدود الغواصة (ب. ن - ١٠٣)، الرابضة في الأعماق، ثم راحت الصورة تقترب من مقدمتها المصابة، حتى هتف (نور):

- يا إلهي!



عرضت الشاشة صورة حادة الألوان، بين الأخضر والأحمر والأزرق، ترسم حدود الغواصة (ب. ن - ١٠٣)، الرابضة في الأعماق..

وهنا ، قال القائد الأعلى :

- من الواضح أنك قد لاحظت ما أعنيه يا (نور) ..
فالإصابة التي رصدها القمر، في مقنمة (ب.ن - ١٠٣)،
تُبين الانبعاجات في جسمها المعدني ، من الخارج إلى
الداخل ، وليس من الداخل إلى الخارج ، مما يستبعد
تماماً احتمالات حدوث أى انفجار داخلي ، من أى نوع ،
ويرجح وبشدة حدوث اصطدام خارجي عنيف .

ازداد انعقاد حاجبي (نور) ، وهو يتساعل :

- ولكن لو افترضنا أنها غواصة معادية ، فكيف ..

قاطعها القائد الأعلى ، قائلاً في صرامة :

- مهلاً أيها المقدم .. لا تتسرع بالنتائج ؛ فأنت لم
تسمع باقى رأى الخبراء هنا .

التفت إليه (نور) ، وتضاعف قلقه وهو يسأله :

- وما رأيهم ؟!

أجابه القائد الأعلى في سرعة ، وكأنما كان ينتظر

سؤاله :

- لقد أكدوا أن ما أصاب مقنمة (ب.ن - ١٠٣) ،
من المستحيل أن يكون طوربيداً بحرياً .. بل هو جسم
أكبر حجماً ، وأكثر تفلطحاً ، و ...

صمت لحظة ، ثم أضاف في توتر عنيف :

- وينطلق بسرعة ما بين سبعين وثمانين عقدة
بحرية .

حدق (نور) فيه بذهول ، هاتفاً :

- مستحيل يا سيدي ! معذرة ، ولكن معلوماتي
تقول : إن أقصى سرعة لجسم يسير تحت الماء ،
وهي تلك الخاصة بالغواصات النووية الحديثة ،
لا تزيد على خمس وأربعين عقدة بحرية ، وهذا منذ
بدايات القرن الحادى والعشرين^(*) .

تنهّد القائد الأعلى ، وهو يقول :

- بالضبط يا (نور) .. وهذا يعنى أننا لسنا أمام
حادث غواصة ، يمكن التعامل معه ، بوسائل القوات

(*) حقيقة .

البحرية وحدها ، ولكننا أمام لغز .. لغز مخيف ،
يحتاج إلى تدخل المخابرات العلمية .. وبكل ثقلها .

تسائل (نور) فى اهتمام :

- وما الذى ينبغى أن نفعله بالضبط ؟!

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يجيب فى حزم :

- منذ ساعة واحدة ، وقبل حتى أن يكتمل رأى خبرائنا ،
بدأت القوات البحرية بالفعل عملية واسعة ، لانتشال
الغواصة النووية (ب . ن - ١٠٣) ، وجثث ضحايا
الحادث ، والبحث عن ناجين بين الحطام ، وسوف تقوم
طوافة خاصة بنقلكم إلى المدمرة (فجر) ، مفر قيادة
فريق الإنقاذ ، وهناك ، عليكم أن تستغلوا كل قدراتكم ؛
لحل لغز حادث (ب . ن - ١٠٣) .. فى الأعماق .

ولم ينبس (نور) ببنت شفة ..

فبالنسبة إليه ، كان الأمر غامضاً ومثيراً ومخيفاً ..

إلى أقصى حد .

★ ★ ★

٢ - بحر الغموض ..

انطلقت مركبة الغوص الصغيرة (شارك) ، عبر
ممر خاص ، فى قاع مدمرة الإنقاذ (فجر) ،
وراحت تغوص فى أعماق البحر ، وعلى متنها فريق
من خمسة رجال ، من أفضل عناصر الضفادع
البشرية المصرية ، وقائدهم يقول للأربعة الآخرين
فى حزم :

- ثياب الغوص التى ترتونها من نوع خاص للغاية ؛
لاحتمال الضغط الجوى الفائق ، على عمق ألف ومائتى
متر ، تحت سطح البحر ، حيث يبلغ الضغط مائة
وعشرين ضعف الضغط الجوى العادى (*) ، وأسطوانات

(*) الضغط الجوى : هو مقدار الضغط ، الذى تحدثه طبقات
الهواء على الأرض ، ويبلغ عند سطح البحر حوالى ٦٧ كيلوجرام ،
لكل بوصة مربعة ، وهو الضغط الكافى لرفع عمود من الزئبق ٧٦
سنتيمتراً إلى أعلى ، ويتضاعف الضغط البحرى مع كل عشرة أمتار ،
تحت سطح البحر ، بمقدار ضغط جوى واحد .

الهواء التى تحملونها ، مصنوعة من معدن خاص ،
مقاوم للبرد والضغط .. باختصار ، ما ترتدونه أشبه
بأردية رواد الفضاء ، منه بزي الضفادع البشرية
التقليدى ، وهذا سيعاونكم على السباحة فى ذلك
العمق ، وستستخدمون هذه المصابيح الضوئية القوية ،
لفحص جسم (ب . ن - ١٠٣) ، والبحث عن الناجين
داخلها ..

أدار عينيه فى وجوه الرجال الأربعة ؛ ليتأكد من
أنهم قد استوعبوا كلماته ، قبل أن يتابع :

- بالنسبة لعنف الحادث ، والضغط الواقع على
الغواصة ، يعتقد الخبراء ، وبكل أسف ، أننا لن نجد
أى أحياء داخلها ، خاصة وأن أحداً لم يحاول إرسال
استغاثة صوتية أو ضوئية ، منذ غوصها فى الأعماق ،
على الرغم من أن الوسائل متوافرة لديهم بالفعل .

قال أحد الأربعة فى اهتمام :

- ربما تلفت وسائلهم ، مع عنف الصدمة ، أو ...

قاطعه قائده فى صرامة :

- التفسير ليس مهمتنا يا رجل .. إننا سنسعى لجمع
الحقائق والمعلومات ، والبحث عن الناجين فحسب .
غمغم الرجل فى توتر :

- بالتأكيد .

نطقها ، ثم ساد الصمت التام داخل مركبة الغوص
الصغيرة ، وهى تواصل غوصها أكثر وأكثر فى
الأعماق ، متجهة نحو (ب . ن - ١٠٣) .

لم يكن هناك من يقودها مباشرة ، وإنما تنطلق
بوساطة برنامج تحكم آلى ، مزروع فى برنامجها
الإلكترونى ، ومحدد الهدف مسبقاً ..

لذا فقد سبحت وغاصت فى هدوء ، حتى استقرت
بالقرب من القاع ، وراحت تدور بمصباحها الضوئى
الضخم ، حول جسم الغواصة النووية ، الذى يبلغ
طوله ما يقرب من مائة وعشرين متراً تقريباً ،
ويبلغ عرضه ما يزيد على عشرة أمتار عند الطرفين ،
وسبعة عشر متراً عند المنتصف ..

وأمام عيون الرجال الخمسة المبهوتة ، بدأ ذلك
الثقب الضخم ، فى مقدّمة الغوّاصة النووية ، والذي
التهم مقصورتيها الأماميتين تمامًا ، فى حين بدأ
بأقى الجسم سليماً ، دون خدش واحد ..

وكان من الواضح أن نفق الهرب لم يُستخدم قط ،
وأن أحداً لم يحاول حتى فتحه ، منذ وقع الحادث ،
حتى إن قائد الرجال غمغم فى مرارة :

- يا للمساكين ! يبدو أنهم قد لقوا مصرعهم جميعاً ،
بعد دقيقة أو دقيقتين على الأكثر من الحادث ، وإلا لكانت
أمام بعضهم فرصة للفرار .

تنهد رجل آخر ، وقال فى أسى :

- يا للتعساء !

عضّ قائدهم شفّتيه ؛ للسيطرة على مشاعره ،
وهو يقول فى صرامة ، اصطنعها فى صعوبة بالغة :

- ليست هذه مهمتنا أيضاً .. هيا .. استعدوا لبدء
العملية .

بدأ الرجال الخمسة يغوصون فى الأعماق ، ويسبحون
حول جسم الغوّاصة الضخم ، ومصاييحهم الصوتية
تدرس كل شبر منه ، من القطاع الثالث ، وحتى
القطاع التاسع ، و ...

وفجأة اتسعت عيون أحدهم فى دهشة بالغة ، ودفع
جسده دفعاً ، للاقترب من جسم الغوّاصة أكثر وأكثر ،
قبل أن يتيقن فجأة مما التقطته أذناه منذ لحظات ..

دقات منتظمة من داخل الغوّاصة ..

دقات ترسل إشارة بلغة (مورييس) (*) ..

وبمنتهى التوتر واللهفة ، أشار الرجل لرفاقه وقائده ،
ولوّح بمصباحه اليدوى ، فى إشارة متفق عليها ،
فهرع الكل إليه ، واتبعوا إشاراته ، فى الاقتراب من
جسم الغوّاصة ..

ولم تكن دهشتهم بأقل من دهشة زميلهم ..

(*) لغة (مورييس) : إشارة خاصة ، وشفرة صوتية للإرسال
والاستقبال ، ابتكرها (صمويل مورييس) (١٧٩١ - ١٨٧٢ م) ، مخترع
أمريكى ، له أبحاث عديدة فى استخدامات الكهرباء .

ليس لأن هذا يعنى وجود ناجين داخل الغواصة
النووية الغارقة .. بل لأن مضمون الرسالة الشفوية
القصيرة ، كان عجيبيًا ..

للمغاية !

★ ★ ★

« ابتعدو ! »

نطق قبطان المدمرة (فجر) ، وقائد فريق
الإنقاذ الكلمة بدهشة بالغة ، وهو يحدث فى وجه
قائد الضفادع البشرية ، فهزّ هذا الأخير رأسه ،
قائلًا :

- نحن أيضًا لم نفهم معنى الرسالة ، وتصورنا أننا
قد أخطأنا استيعاب الأمر ، ولكن الكلمة كانت واضحة
للمغاية ، فأيا كان عدد أو كانت هوية الناجين ، داخل
الغواصة ، فهم يطالبوننا - وبكل إصرار - بالابتعاد ،
والكف عن محاولة إنقاذهم .

حدث القبطان فى وجهه بضع لحظات بدهشة ، قبل
أن يقول فى صرامة :

- مستحيل !

شدّ قائد الضفادع البشرية قامته ، وبدأ شديد الانتباه ،
وهو ينصت إلى قبطان المدمرة ، الذى تابع بنفس
الصرامة :

- إنه الهواء الفاسد ولاشك ، لقد اشترك مع صدمة
الحادث ، لتغيب عقولهم .

تساءل قائد الضفادع البشرية فى اهتمام :

- هل تعنى أننا سنتخذ كل الإجراءات اللازمة
لإنقاذهم ، على الرغم من رسالتهم ؟!

هتف القبطان بمنتهى الحزم :

- بالتأكيد .

شدّ قائد الضفادع البشرية قامته أكثر ، وأدى التحية
العسكرية فى قوة ، قائلاً فى حماسة :

- سأعمل على إعداد كل شيء فوراً يا سيدي .

لم يكذب يهرع لتنفيذ الأمر ، حتى ظهرت طوافة فريق (نور) ، وهي تتجه نحو المدمرة ، فغمغم مساعد القبطان في توتر :

- إنهم فريق المخابرات العلمية .. سيدسون أنفسهم في كل شيء كالمعتاد .

غمغم القبطان في صرامة ، لم تخل من العصبية :
- إنها أوامر الرئاسة ، ونحن مضطرون لطاعتها ، وللتعاون معهم .

وراقب الطوافة الكبيرة ، وهي تهبط في المكان المخصص لها ، على سطح المدمرة ، قبل أن يتابع بنفس اللهجة :

- بشرط ألا تصطدم مصالحننا .

هبط (نور) من الطوافة ، في نفس اللحظة التي أنهى فيها القبطان تعقيبه ، وتبعه (أكرم) ، وهو يقول في عصبية :

- لست أشعر بالارتياح ، كلما تعلق الأمر بتعاون مشترك ، مع سلطات الأمن .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- أراهنك على أن هذا شعورهم أيضاً .

لحقت بهما (سلوى) ، وهي تتسائل .

- (نور) .. أين سنضع معداتنا ؟!

تبعها (رمزي) ، قائلاً :

- لا ريب في أنهم قد دبّروا مكاناً مناسباً لهذا .

تطلّع إليه (نور) لحظة في صمت ، قبل أن يغمغم :

- بالتأكيد .

بلغهم القبطان في هذه اللحظة ، وصافحهم ، قائلاً في حزم :

- مرحباً بكم على سطح المدمرة (فجر) .

ثم فحصهم ببصره في سرعة ، قبل أن يتسائل :

- ولكن لماذا أبلغونا أن الفريق يتكوّن من خمسة أشخاص ؟!

تتحنح (رمزي) مجيبًا :

- معذرة ، ولكن (نشوى) لم يمكنها المجيء ؛
لأن الموقف .. أعنى أن طفلنا بحاجة إلى رعايتها .

ابتسم (نور) فى مرارة ، وخفض عينيه ، وهو
يسترجع السبب الحقيقى ، الذى منع (نشوى) من
خوض هذه العملية ، مع باقى الفريق ..

فالبهر ، وأعماقه ، كانا يحملان لها ذكرى قديمة ..

ذكرى لم تفارق عقلها بعد ..

وجسدها أيضا ..

ذكرى مؤلمة مخيفة ، انتزعت منها ، وبقفزة
واحدة ، أجمل سنوات عمرها (*) ..

« طفلكما ؟! »

انتزع القبطان (نور) من ذكرياته بتلك الكلمة ،
التي نطقها باستنكار واضح ، قبل أن يتجاهل الأمر
برمته ، ويقول فى صرامة :

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

- فليكن .. لقد أعدنا لكم خمس مقصورات ، وقاعة
صغيرة لممارسة عملكم ، و ...

قاطعه صوت حاد ، جعل (أكرم) يمسك مسدسه
بحركة غريزية ، هاتفاً :

- ما هذا ؟!

أجابه مساعد القبطان فى سرعة :

- رويدك يا رجل .. إنها مركبة الغوص الصغيرة
(شارك) ، تسعى لإنقاذ الناجين فى الأعماق .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

- (شارك) ؟! يا له من اسم لمركبة إنقاذ (*) !

أما (نور) ، فتساعل فى لهفة :

- أهنأك ناجون ؟!

أجابه القبطان فى صرامة :

- نعم .. ولكنهم يرسلون رسالة عجيبة .

(*) (شارك) : كلمة انجليزية ، تعنى (سمكة القرش) .

ثم راح يشرح له ما حدث لفريق الضفادع البشرية
فى الأعماق ، واستمع إليه الكل فى انتباه متوتر ،
قبل أن يتساءل (نور) ، فى قلق حذر :

- ولكن ما معنى هذا ؟!

أسرع مساعد القبطان يقول :

- إنه الهواء الفاسد ، وصدمة الحادث ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حزم :

- هراء .

انعقد حاجبا القبطان فى غضب ، فى حين ارتفع
حاجبا مساعده فى دهشة مستنكرة ، إلا أن (رمزى)
تابع فى هدوء حازم ، وكأنما لم ينتبه إلى هذا وذاك :

- الهواء الفاسد قد يفقدهم وعيهم ، أو يصيبهم بدرجة ما
من الهذيان ، مع الضعف الذى يسبق فقدان الوعي ،
ولكنه لن يدفعهم إلى القيام بعمل هستيرى عنيف
كهذا ، حتى لو امتزج بصدمة الحادث .

سأله القبطان ، فى شىء من العصبية :

- ومن أدراك ؟!

ابتسم (رمزى) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- يبدو أننى قد نسيت تقديم نفسى .. الدكتور (رمزى) ،
خبير الطب النفسى ، ومستشار التحاليل النفسية وفوق
النفسية ، بالمخابرات العلمية المصرية ، وعضو فى
فريق المقدم (نور) .

ازداد انعقاد حاجبى القبطان ، وهو يغمغم :

- آه .. خبير نفسى .. كان ينبغى أن نتوقع هذا .

تبادل (نور) نظرة صامتة مع (أكرم) ، قبل أن
يتمتم الأخير :

- ونحن أيضا .

ربت (نور) على ظهره ، محاولاً تهدئته ، وهو
يقول للقبطان :

- لا بأس .. سنتعارف جميعاً أكثر ، عندما يبدأ

عملنا .. أرجو أن تأمر بعضهم بإرشادنا إلى قاعة
العمل الخاصة بنا يا قبطان ، حتى نـ

قبل أن يتم عبارته ، انبعث من البحر بغتة ضوء
قوى ، أحاط بالدمرة كلها ، فى لمحة سريعة ،
أشبه بوميض مصباح تصوير هائل ، سطع وخبأ
دفعة واحدة ، فاستل (أكرم) مسدسه ، هاتفًا :

- ما هذا بالضبط ؟!

واتسعت عيون (رمزي) و (سلوى) عن آخرهما ،
فى حين انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وتلفت
القبطان حوله ، هاتفًا فى عصبية بالغة :

- نعم .. ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ، وما الـ ..

قبل أن يكتمل هتافه ، ارتجت المدمرة كلها بموجة
عنيفة من الأعماق ، جعلتها تتأرجح كورقة صغيرة ،
على سطح حوض ثائر ، فأتسعت عينا مساعد القبطان ،
وهو يقول فى ارتياح :

- يا إلهى ! (شارك) !!

مع آخر حروف كلمته ، اندفع ضابط الرصد نحو
القبطان ، صائحًا فى دعر واضح ملتاع :

- سيدي القبطان .. سيدي القبطان .. المركبة
(شارك) .

صاح به القبطان :

- ماذا أصابها ؟! هل انفجرت ؟!

هز الرجل رأسه فى قوة ، قبل أن يجيب ، وهو
يلهث من فرط الانفعال :

- بل اختفت .. اختفت تمامًا .. فى الأعماق .

وكانت مفاجأة جديدة ..

مذهلة ..

* * *

استعاد (أمجد صبحى) نشاطه وحيويته ، على نحو
مدهش ، وهو يراجع الخرائط البحرية ، مع نائب قائد
القوات البحرية ، فى حجرة العمليات الخاصة ، فى مقر

رياسة الجمهورية ، فى (القاهرة) الجديدة ، وبدا شديد
الاهتمام بمتابعة الموقف دقيقة بدقيقة وهو يشير إلى
موضع غرق (ب . ن - ١٠٣) ، قائلاً :

- الاحتمال الذى افترضه الخبراء خطير للغاية ؛
فهو يعنى أن أحد أعدائنا قد نجح فى صنع نوع من
الغواصات ، صغيرة الحجم ، فائقة السرعة والقوة ،
بدليل أنها قد حطمت غواصتنا النووية ، بجسمها الكبير
القوى ، ثم لم تترك أى جزء من حطامها فى المنطقة .

هزّ نائب قائد القوات البحرية رأسه ، قائلاً :

- لست أميل إلى هذا الاحتمال ، على الرغم من
تأكيد الخبراء ، فلو صح ، فهذا يوحى بأن ..

قبل أن يتم حديثه ، ارتفع صوت الرئيس ، عبر
جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول :

- سيّد (أمجد) .. أرجو حضورك إلى مكتبى فوراً .
انفصل (أمجد) عن المجموعة ، وهو يشير بيده ،
قائلاً :

- معذرة أيها السادة .. تابعوا الموقف ، وسأعود
إليكم بأسرع وقت ممكن .

تساعل ، وهو فى طريقه إلى مكتب السيّد الرئيس ،
عن السبب الذى يدعو له لطلب لقائه ، على هذا النحو
العاجل ، على الرغم من أن كل التقارير العاجلة ،
الخاصة بالحادث ، تصل إلى غرفة العمليات ، فى
نفس اللحظة التى تصل فيها إلى مكتب الرئيس ..

ولكنه لم يكذب يدلف إلى مكتب الرئيس ، حتى
استوعب السبب ، إلى حد ما ..

فهناك ، وعلى المقعد المواجه للمكتب تماماً ، كان
يجلس رجل طويل القامة ، متين البنيان ، أشقر
الشعر ، لم يكذب يلمح (أمجد) ، حتى نهض واقفاً ،
والرئيس يقول :

- ادخل يا (أمجد) ، ودعنى أقدم لك الملحق
العسكرى الروسى .

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفתי (أمجد) ،
وهو يقول :

- آه .. الكولونيل (موريس بيرجانوف) .. رجل
المخابرات السابق .. أم هل أقول : والحالي أيضًا ؟!

ابتسم الكولونيل الروسي ابتسامة صفراء ، وهو
يمد يده لمصافحة (أمجد) ، قائلاً :

- مرحبًا يا سيّد (أمجد) .. من الواضح أنك لم
تنس بعد مواجهتنا السابقة في (سيبيريا) ، منذ
عدة سنوات .

أشار (أمجد) إلى رأسه ، قائلاً :

- على الرغم من هذا الشعر الأشيب ، ما زال
عقلي يعمل بكفاءة تامة يا كولونيل .

مطّ الروسي شفّتيه ، وغمغم :

- بالتأكيد يا سيّد (أمجد) .. بالتأكيد .

تراجع الرئيس في مقعده ، وهو يشير بيده إلى
الكولونيل (بيرجانوف) ، قائلاً :

- الكولونيل هنا بشأن حادث الغواصة يا (أمجد) .

بدا (أمجد) هادئًا ، وهو يتساعل :

- أية غواصة ؟!

ابتسم الرئيس ، لهذه المبادرة الأمنية التلقائية من
(أمجد) ، وقال :

- غواصتنا (ب . ن - ١٠٣) يا (أمجد) ، فالروس
قد رصدوا الحادث بأقمارهم الصناعية .
اندفع الكولونيل يقول في سرعة :

- بالمصادفة البحتة .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفّتي (أمجد) ، وهو
يقول :

- حقًا ؟!

انعقد حاجبا الروسي في غضب ، في حين قال
الرئيس في حزم :

- الروس يرون أنه توجد علاقة وثيقة ، بين حادث
غواصتنا ، وحادث قديم ، أصاب غواصتهم (كورسيك) ،
في الثاني عشر من أغسطس ، عام ألفين .

تبادل الرئيس نظرة صامتة مع (أمجد) ، قبل أن يقول :

- فليكن يا كولونيل .. كلنا آذان مصغية .

التقط الروسي نفساً آخر أكثر عمقاً ، قبل أن يقول :

- التحليل الرسمي للحادث قال : إن خلاصاً أصاب الغواصة ، فمالت على نحو خطير ، جعلها ترتطم بالقاع القريب في عمق ، حيث إن عمق منطقة غرقها لم يكن يتجاوز المائة وخمسين متراً ، ومع طولها البالغ ، وسرعتها ، حدث ما حدث ، ولقد أدى هذا ، وفقاً للتقرير الرسمي أيضاً ، إلى انطلاق صاروخ داخلها ، فنسف مقدمتها .

سأله (أمجد) :

- وماذا عن الحقيقة ؟!

صمت الكولونيل طويلاً ، قبل أن يقول في عصبية :

- الحقيقة أن جسماً غريباً قد ارتطم بغواصتنا ، وارتطامه هو الذي أدى إلى انطلاق ذلك الصاروخ داخلها .

تبادل الرئيس نظرة أخرى مع (أمجد) ، قبل أن يتساعل الأخير في اهتمام بالغ :

- أي جسم هذا ؟!

هز الكولونيل رأسه في عصبية ، وهو يجيب :

- جسم مجهول الهوية ، ارتطم بغواصتنا ، وهو يسير بسرعة سبعين عقدة بحرية في الساعة .

غمغم (أمجد) :

- الجسم الذي أصاب غواصتنا ، كان ينطلق بسرعة ثمانين عقدة بحرية .

لوح الكولونيل بيده ، قائلاً :

- لا تنس أن غواصتنا غرقت في آخر أعوام القرن العشرين^(*) ، وغواصتكم غرقت في آخر العقد الأول ، من القرن الحادي والعشرين ، وهذا صنع فارقاً في سرعة غواصتنا ، فما بالك بـ ...

(*) يبدأ القرن الحادي والعشرين فعلياً ، مع بداية عام ٢٠٠١ م ، وليس مع بداية عام ٢٠٠٠ م ، كما تصوّر البعض .

بتر عبارته دفعة واحدة ، فقال (أمجد) يستحثه
في حزم :

- فما بالك بماذا ؟!

تردد الكولونيل بضع لحظات ، قبل أن يقول في
عصبية :

- بغواصاتهم .

التقى حاجبا الرئيس في توتر صامت ، في حين تساعل
(أمجد) في حزم :

- من تقصد بـ (هم) هذه ؟!

تضاعفت عصبية الكولونيل الروسي ، وهو يقول :
- أنت تفهم ما أعنيه .

ثم نقل بصره بين الرجلين ، مستطرداً :

- المخلوقات الفضائية طبعاً .

اعتل الرئيس بحركة حادة ، وهو يكرر ، بكل دهشة
الدنيا :

- مخلوقات فضائية ؟!

أما (أمجد) ، فقال في صرامة مستنكرة :

- ومن تحدث الآن عن مخلوقات فضائية ؟! الحادث
تم في أعماق البحر يا رجل .

قال الكولونيل في عنف :

- من الواضح أنك لم تسع خلف الملفات السرية
لحادث غواصتنا (كورسيك) ياسيد (أمجد) ، ولم
تتساعل أبداً لماذا انتظرنا أربعة أيام ، قبل أن
نطلب مساعدة أجنبية ؛ للقيام بعملية الإنقاذ ، ثم ،
وهذا هو الأهم ، لماذا انتشلنا أربع جثث فحسب ،
على الرغم من عمل جنازة رستمية لتوابيت
خاوية ؟!

قال (أمجد) في حذر :

- لقد تصورنا أن هذا لتهدئة الرأي العام الغاضب
فحسب .

هز الكولونيل رأسه في قوة ، وقال :

٣- الحصار ..

لم تستطع (نشوى) منع ذلك التوتر ، الذى سرى فى جسدها ، على الرغم منها ، وهى تتطلع إلى (مشيرة) زوجة (أكرم) ، ورئيسة تحرير (أنباء الفيديو) ، أول جريدة تليفزيونية فى العالم ، والذى حاولت أن تخفيه عن صوتها ، وهى ترغب نفسها على الابتسام ، قائلة :

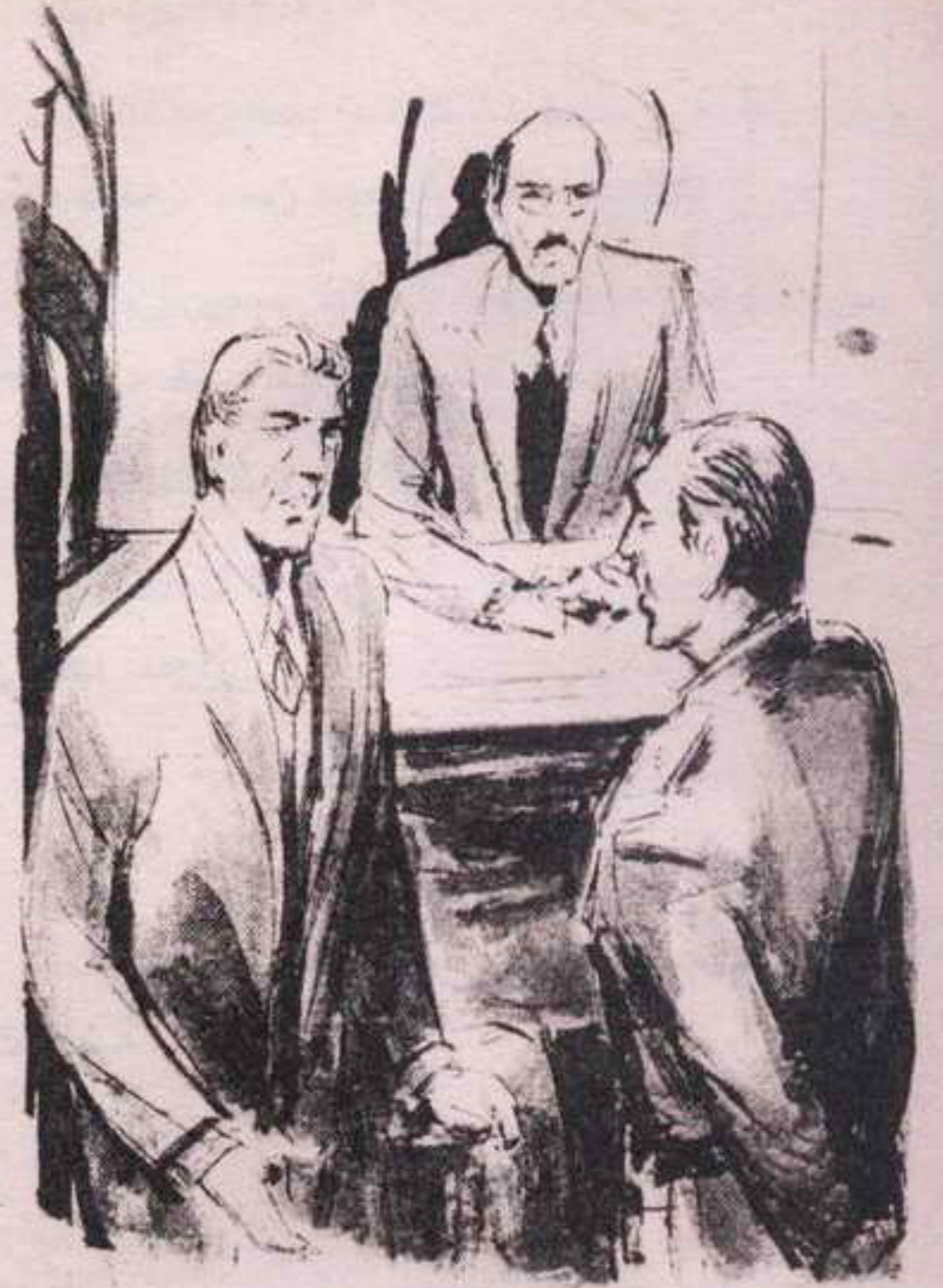
- (مشيرة)؟! يالها من مفاجأة ! لم أتوقع زيارتك هذه قط فى الواقع .

ابتسمت (مشيرة) بشيء من السخرية ، وهى تقول :

- لا داعى لهذه الدبلوماسية الخبيثة ، التى ورثتها عن والدك يا (نشوى) .. كلانا يعلم أنك لا تشعرين بالارتياح لزيارتى هذه .

ثم أراحته عن طريقها ، على نحو يتنافى مع اللياقة ، وهى تدلف إلى المكان ، متابعة :

- أين الصغيران؟!



انعقد حاجبا الرئيس ، فى حين تسائل (أمجد) ، فى حذر متوتر :
- وماذا عن الباقيين؟! ..

البحر ، التي تنقلها تلك الكاميرا الحساسة ، المثبتة في
جسم الغواص الآلى فقال (أكرم) فى اهتمام ، مشوب
بالعصبية كعادته :

- إنها لم تعترض طريقه .

قالها ، وهو يشير إلى المركبات الخمس المجهولة ،
التي ظلت جامدة ساكنة ، على عمق مائتى متر ، تحت
سطح البحر ، والغواص الآلى يتجاوزها فى هدوء ،
وهو يغوص فى أعماق البحر بسرعة ، حاملاً مجموعة
من الأدوات اللازمة لعملية انتشال (ب. ن - ١٠٣)
وفى اهتمام مترقب ، قال القبطان :

- الغواص الآلى لن يكتفى برصد ما يحدث فحسب ،
وإنما يحمل معه ثمان بالونات خاصة ، نطلق عليها اسم
(بانتومات) ، وهى معدة بحيث يتم تثبيتها فى
حلقات خاصة بجسم الغواصة الغارقة ، ثم ملؤها
بالهواء ، لتحمل الغواصة إلى السطح(*) .

(*) وسيلة إنقاذ فعلية للغواصات والمراكب الغارقة .



أسرعت (سلوى) تضغط أزرار جهازها . قائلة فى اهتمام :
- أظننا نستطيع التقاط ما بيته هنا ..

سطع الضوء ، حتى سحب مسدسه ، وانطلق يعدو
نحو منزل (أمجد) ، واقتحمه في قوة ..
ولكن المنزل كان خالياً تماماً ..
ولم يكن هناك أثر لـ (أمجد صبحي) ..
أدنى أثر ..

★ ★ ★

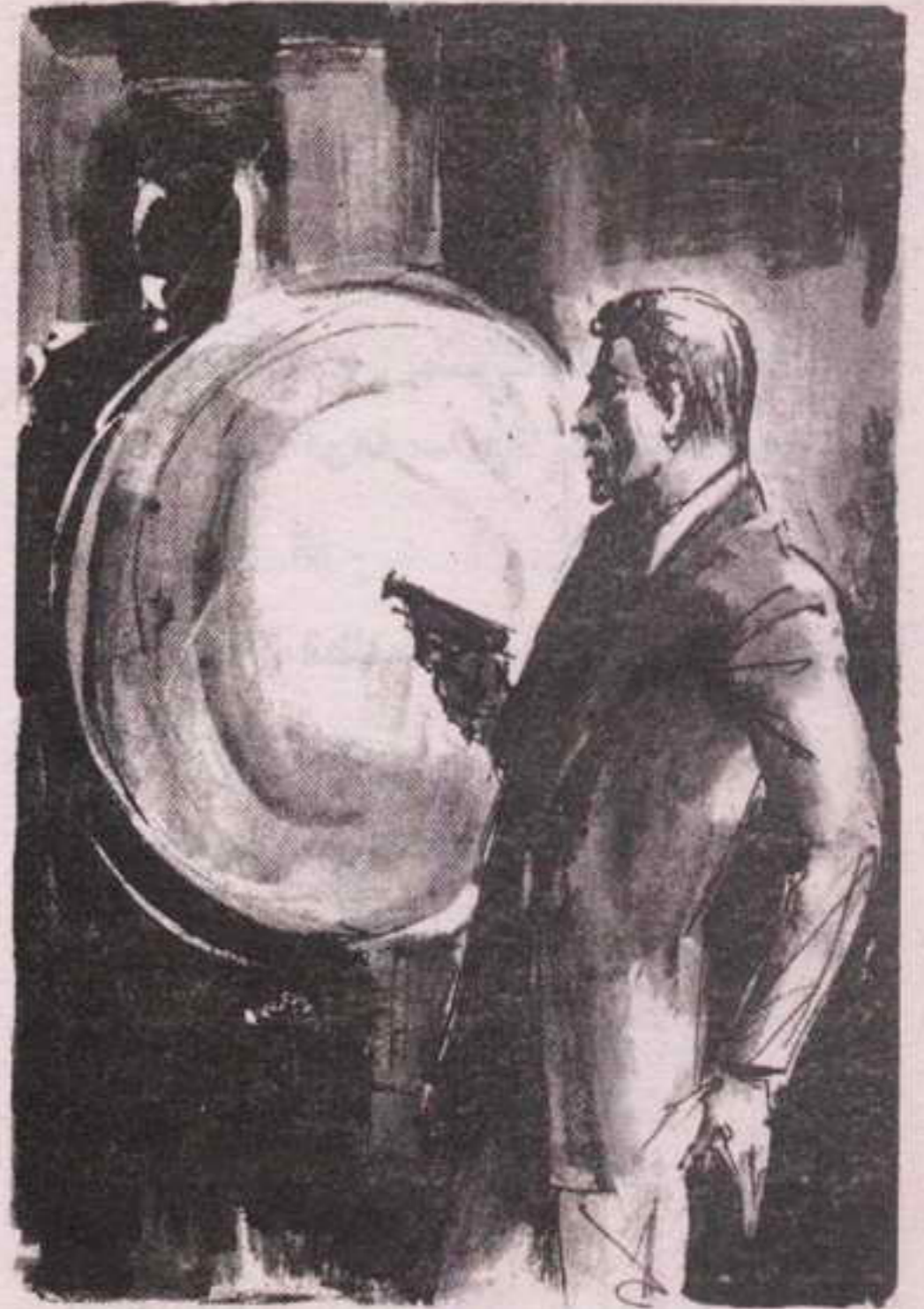
حمل صوت مساعد القبطان كل توتر الدنيا ، وهو
يقول :

- الدفة تحطمت تماماً ، وهناك إصابة كبيرة في
مؤخرة المدمرة ، والرجال يقومون بفصل القطاع
المصاب في قاع المدمرة ، حتى يتم إصلاحه ؛ خشية
انهياره المفاجئ .

مطَّ القبطان شفتيه ، مغمماً :

- وماذا عن (ب . ن - ١٠٣) ؟!

أجابته المساعد بتوتر أكثر :



ومع قوله ، انطلقت من فوهة سلاحه فقاعة أرجوانية عجيبة
ولم يطلق (أمجد) رصاصة واحدة من مسدسه ..

أجابه فى لهفة :

- بالتأكيد .. لقد وجدتموها خالية ، ولم يكن هناك
أى أثر لطاقتها .. أليس كذلك ؟! هذا ما حدث معنا ،
فى حادثة غواصتنا (كورسيك) .

ثم لهث على نحو عجيب ، وكأنما يغالب انفعالا
كامنا فى أعماقه ، وهو يقول :

- إنهم يتطورون .

سأله الرئيس فى صرامة :

- من تقصد بقولك هذا يا كولونيل ؟!

أجابه الروسى فى توتر بالغ :

- الأشباح .. الأشباح الذين عجزنا عن مواجهتهم ،
والذين ستعجزون أنتم أيضا عن مواجهتهم .

قال الرئيس فى حدة :

- لا تتحدث عما لا يخصك يا كولونيل .

وأضاف القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى
حزم :

- ظروفنا تختلف عنكم يا كولونيل (بيرجاتوف) ،
فتلك الأشباح ، كما تدعوها ، تهاجمنا فى عصر ،
تطورت فيه تكنولوجيانا ووسائلنا كثيرا .

قال الكولونيل فى إصرار :

- هم أيضا تطورا .. ففى حادثتنا لم نواجه تلك
الدوامة الضوئية الرهيبة ، التى قالت رسالة مدمرتكم
عنها : إنها تتسع وتزداد شدة فى كل لحظة ، حتى
لتكاد تبتلع كل شىء .. لقد تطورا على نحو أكثر قوة ،
مما يعنى أن المواجهة لن تكون لصالحكم قط ، مهما
فعلتم .

ثم التفت نفسا عميقا ، واعتدل فى وقفته ، مضيفا :

- لو أردتما نصيحتى أيها السادة ، فالأفضل أن
تتخذوا القرار ، الذى لم تتخذه قيادتنا فى حينه ،

والذى أثبتت كل الدراسات فيما بعد ، أنه كان أفضل قرار ينبغي اتخاذه ، فى هذا الشأن .

تبادل الرئيس نظرة صامتة متوترة ، مع القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، قبل أن يسأل الروسى فى حذر :

- أى قرار هذا ؟!

التقط الروسى نفساً عميقاً آخر ، قبل أن يقول بكل الحزم والصرامة :

- استخدموا قنبلة نووية محدودة ، وانسفوا المنطقة التى غرقت فيها غواصتكم ، بكل ما عليها ، ومن عليها .. وفوراً .

وازداد انعقاد حاجبى الرئيس فى شدة ، وقد بدا له أن حديث الروسى مخيف رهيب ، ولكن يبدو أنه صادق ومحقق تماماً ..

فالوسيلة الوحيدة ، لإنقاذ (مصر) والعالم ، من ذلك الخطر الغامض الرهيب ، قد تحتم سحق المنطقة كلها ..

وبلا رحمة .

★ ★ ★



٨- المفاجآت ..

شدّ الرائد (هيثم) ، فقد فريق المخابرات العلمية الجديد ،
الذى أسند إليه القائد الأعلى مهمة التحقيق الفوري ،
في حادثة الاختفاء الغامض للسيد (أمجد صبحي) ،
قامته ، وأدار عينيه في منزل هذا الأخير ، قبل أن
يشير إلى فريقه ، قائلاً :

- سنبدأ عملنا على الفور .. سنفحص المكان بكل
الوسائل المتطورة ، التي نعملها معنا .. أريد معرفة
ما حدث هنا بأي ثمن .

بدأ أفراد الفريق الثلاثة في تثبيت أجهزتهم ، في
أماكن متفرقة من المنزل ، وقال خبير الأشعة :

- سنستخدم الموجات تحت الحمراء الفائقة ، مع
جهاز فصل الموجات بالغ الدقة والحساسية ، بأعلى
درجة ممكنة ، حتى نعلم ما حدث ، منذ دلف السيد
(أمجد) إلى المكان ، وحتى لحظة اختفائه .

ألقى (هيثم) نظرة على ساعته ، وقال :

- لقد مرّ وقت طويل على هذا .. هل تعتقد أنه
ما زالت هناك آثار حرارية متبقية لحركته .

أوما الخبير برأسه ، قائلاً :

- الآثار الحرارية لا تنمحى بسهولة ، كل ما في
الأمر أنها تخفت إلى درجة يستحيل رصدها في
المعتاد ، ولكن الدقة والحساسية الشديتين لهذا
الجهاز ، الذي يُستخدم عملياً لأول مرة ، ستمكنانه من
رصد تلك الآثار الحرارية ، مهما بلغت درجة خفوتها .

سألته خبيرة الصوتيات :

- ولكنها امتزجت بعشرات الآثار والانبعاثات الحرارية
الأخرى ، لكل من دخل المكان بعدها ، من رجال
البحث الجنائي ، والتحقيقات ، ورجال المخابرات
العامة ، وغيرهم .

تنهّد ، قائلاً :

- سنبذل قصارى جهدنا لتنقيتها وفصلها .

